تعالج هذه المحاضرة المواد المكونة للمخطوط المختلفة فيما بينها سواءً من ناحية التركيب، أو في الدور الذي تلعبه ضمن المخطوط.

إن المواد الأساسية التي كانت تستخدم للنصوص الطويلة هي: الرق والبردي والكاغد، وكانت هذه المواد معروفة عند العرب قبل الإسلام وبعده[1].

أولاً: الرق Parchemin

(بفتح الراء وكسرها)، وهو ما يُرَقَّقُ من الجلد ليكتب فيه، ومادته الأصلية من مصدر حيواني[2]، ويعني الطبقة الرقيقة من جلد الغزال[3]، ويطلق عليه أحيانًا « البرجامين »[4].

وقد ذكر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ وَكِتَٰبٍ مَّسۡطُورٖ ۝٢ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴾[5]، كما جاء في شعر حاتم الطائي في قوله: [الطويل]

أتعرفُ أطلالاً ونُؤيًا مُهَدَّمًا كخطِّك في رقٍّ كتابًا مُنَمنَمَا[6]

---

(1) أنس خلدوف، **المخطوطات العربية وتقاليدها**، ط2، مركز جمعة الماجد للتقافة والتراث، دبي، 2009، ص210.

(2) ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، ج2، ص377. مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ط4، القاهرة، 2003، ص366.

وابن عباد أبو القاسم إسماعيل بن العباس بن أحمد بن إدريس الأصبهاني (ت 385هـ / 995م)، **المحيط في اللغة**، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، ط1، دار عالم الكتب، بيروت، 1994، ص119. المطرزي أبي الفتح ناصر الدين (ت 610هـ / 1213م)، **المغرب في ترتيب المعرب**، حققه: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، ج1، ط1، مكتبة أسامة بن زيد، حلب ت سورية، 1979، ص343. محمد رواس قلعجي، **معجم لغة الفقهاء**، ضبطه: حامد صادق قنيبي، ط1، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، الأردن، 1996، ص201. أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج2، ط1، عالم الكتب للطباعة والنشر التوزيع، القاهرة، 2008، ص929.

(3) أحمد شوقي بنبين ومصطفى طوبي، المرجع السابق، ص177. 0775151214 أحمد

(4) مصطفى مصطفى السيد يوسف، **صيانة المخطوطات علمًا وعملاً**، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص31.

(5) سورة الطور: 1 ــ 3.

(6) **ديوان حاتم الطائي**، شرحه وقدم له: أحمد رشاد، ط2، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 2002، ص43.

وفي شعر الأخنس بن شهاب التغلبي: [الطويل]

لابنةِ حِطَّانَ بنِ عَوفِ مَنَازِلٌ كَمَا رَقَّشَ العُنوانَ في الرِقِّ كاتبُ[1]

وفي شعر طرفة بن العبد: [المديد]

كسطور الرقِّ رقَّشه بالضُّحى مرقَّشٌ يَشِمُه[2]

وكانت الرقوق المادة الأساسية التي استخدمت لفترة طويلة حتى بدأ « القرطاس » ــ وهي الكلمة التي أطلقت على صحيفة البردي ــ يزاحم الرقوق ويتغلب عليها لخفته وسهولة الكتابة فيه، ثم دخول الورق بعد ذلك في الحياة العلمية.

ونجد مصداق ذلك فيما يقرره ابن خلدون في مقدمته إذ يقول: « وكانت السجلات أولاً لانتساخ العلوم وكتب الرسائل السلطانية والاقطاعات والصكوك في الرقوق المهيأة بالصناعة من الجلد لقلة الرَّفه وقلة التأليف صدر الملة كما نذكر، وقلة الرسائل السلطانية والصكوك مع ذلك، فاقتصروا على الكتابة في الرق تشريفًا للمكتوبات وميلاً إلى الصحة والإتقان، ثم طمى بحر التأليف والتدوين وكثر ترسيل السلطان وصكوكه وضاق الرق عن ذلك فأشار الفضل بن يحي بصناعة الكاغد وكتب فيه رسائل السلطان وصكوكه واتخذ الناس من بعده صحفًا لمكتوباتهم السلطانية والعلمية وبلغت الإجادة في صناعته ما شاءت »[3].

فابن خلدون يرى أن الرق قد استأثر بوجوه النشاط المختلفة ديوانية وعلمية حتى نشأت صناعة الكاغد، وكانه إنما يتحدث عن الرق في المغرب، فهو لا يذكر القرطاس ومبلغ مشاركته في الحياة الديوانية، إما غفلة منه عن هذا الجانب من جوانب الوراقة، أو ميلاً إلى

---

[1] **المفضليات**، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط6، دار المعارف، القاهرة، 1964، ص304. الدارقطني أبي الحسن علي بن عمر (ت 385هـ / 995م)، **المؤتلف والمختلف**، دراسة وتحقيق: موفق بن عبد الله بن عبد القادر، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1986، ص27.

[2] **ديوان طرفة بن العبد**، شرحه وقدم له: مهدي محمد ناصر الدين، ط3، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت لـ لبنان، 2002، ص68.

[3] ابن خلدون أبي زيد عبد الرحمن بن محمد (ت 808هـ / 1405م)، **مقدمة ابن خلدون**، حقق نصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، دار البلخي، دمشق، 2004، ص128، 129.

التعميم والإجمال والإقتصار على االصورة البارزة في هذه المرحلة من تاريخ الوراقة[1].

ومن عيوب الرق رغم أنه كان أنذر وجودًا وأغلى ثمنًا، كان أكثر تعرضًا للتحريف والتبديل في النص المكتوب إذا حُكّ أو كُشِطَ بأدوات، ورغم ذلك بقيت كتاباته في الحياة العامة[2].

وكانت بلاد فارس هي التي اشتهرت بإنتاج الرقوق، ومنها كانت ترد إلى العراق، ويبدو أن دباغة وصناعة الرقوق قد نشأت في العراق وخاصة في الكوفة، إذ كانت رقوق الكوفة أجود من غيرها لما فيها من لين، لأنها تدبغ بالتمر يقول ابن النديم: « وكانت الكتب في جلود دباغ النورة وهي شديدة الجفاف، ثم كانت الدباغة الكوفية تدبغ بالتمر وفيها لين »[3].

كما بقي الرق والقرطاس منتشرًا في مصر وشمال إفريقية على الرغم من وجود الورق، يقول البشاري في أواخر القرن 4هـ / 10م عن بلاد المغرب: « وكل مصاحفهم ودفاترهم مكتوبة في رقوق وأهل الأندلس أحذق الناس في الوراقة خطوطهم مدورة »[4].

وقد بلغ الأغالبة شأوًا بعيدًا في صناعة الرق وصقله وتمحيره وصبغه بألوان مختلفة، وبرعوا في تنعيمه وتجميله، فقد حفلت خزائن جامع عقبة بن نافع في القيروان بنفائس من هذه الرقوق التي تمتاز بالجمال ودقة الصنع وروعة التلوين[5].

---

[1] محمد طه الجابري، **الورق والوراقة في الحضارة الإسلامية**، مجلة المجمع العلمي العراقي، مج13، مطبعة المجمع العلمي العراقي، 1966، ص68.

[2] يحي وهيب الجبوري، **الكتاب في الحضارة الإسلامية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص261، 262.

[3] ابن النديم أبو الفرج محمد بن اسحاق بن محمد بن اسحاق (ت 380هـ / 990م)، **الفهرست**، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت ــ لبنان، د.ت، ص32.

[4] المقدسي أبو عبد الله محمد بن أحمد بالبشاري (ت 390هـ / 1000م)، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1991، ص239.

[5] حسن حسني عبد الوهاب، **البردي والرق والكاغد في أفريقية التونسية**، مجلة معهد المخطوطات العربية، مج2، ج1، القاهرة، 1956، ص43.

ثانيًا: البردي Papyrus

(بالرفع والفتح والكسر) مفرود أو ملفوف، ومنه: قرطاس[1]، وهي كلمة يونانية Chartes، ومعناها ما يكتب فيه، ويقابلها في العربية ورقة وصحيفة[2]، ويقال: إن أصله غير عربي[3]، بل هو آرامي دخل في اللغة اليونانية، والظاهر أنه فينيقي دخل في اليونانية والآرامية معًا، لأن الفينيقيين هم الذين أدخلوه إلى اليونان مع ما أدخلوه من عناصر ثقافية أخرى، وهذا يعني أنه عربي الأصل.

وهو نوع من نبات الحلفاء يصل ارتفاعه ما بين (8 ــ 10م) مخروطي الشكل، ويتكون أساسًا من وحدات مترابطة من سكريات الخماسية (حمض اليورنيك، سكريات الجلاكتوز، الأرابينوز، الراميوز) التي تساعد على التصاق الأوراق عند صناعتها يدويًا[4]، يقول ابن المدبِّر عن صنع هذه اللفائف: « ولم أر شيئًا في إلصاقها ألطف من أن ينقع الصمغ العربي في الماء ساعة حتى يذوب ثم يُلصق به، وكذلك ماء الكثير أو النشاستج [النشا] ثم تطويه طيًا رقيقًا وتجعله في منديل نظيف، ويوضع تحت وسادة حتى يجف »[5].

وقد عرف العرب ورق البردي باسم « القرطاس » في جاهليتهم قال ابن النديم: « وكتب أهل مصر في القرطاس المصري ويعمل من قصب البردي »[6].

والبردي أقل احتمالاً لعوامل البلى ولكنه أيسر تناولاً وأضمن لبقاء النص المكتوب عليه

---

(1) آدم جاسك، **تقاليد المخطوط العربي معجم مصطلحات وببليوجراغية**، ترجمة: مراد تدغوت، تقديم ومراجعة: فيصل الحفيان، ط1، معهد تامخطوطات العربية، القاهرة، 2010، ص38.

(2) رينهارت دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، ترجمة: محمد سليم النعيمي، مراجعة: جمال الخيط، ج8، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1997، ص232. القس طوبيا العنيسي، **كتاب تفسير الألفاظ الدخيلة في اللغة العربية مع ذكر أصلها بحروفه**، عنى بنشره وتصحيحه وتعليق حواشيه: يوسف تونا البستاني، ط2، مصر، 1932، ص55.

(3) الجواليقي أبي منصور موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر (ت 540هـ / 1145م)، **المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم**، وضع حواشيه وعلق عليه: خليل عمران المنصق، ط1، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، 1998، ص134.

(4) مصطفى مصطفى السيد يوسف، **صيانة المخطوطات علمًا وعملاً**، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 2002، ص27.

(5) ابن المدبر، **الرسالة العذراء**، بقلم: زكي مبارك، ط1، مطبة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1931، ص27، 28.

(6) ابن النديم، المصدر السابق، ص31.

بغير تحريف لأنه لا يحتمل الكشط دون أن يتمزق، أو على الأقل تظهر آثاره واضحة فيه[1].

ثالثًا: الورق (الكاغد)[2]

(بفتح الكاف وكسر الغين والذال المعجمتين) بلفظ (الكاغد والكاغذ)، والكلمة فارسية من أصل صيني[3]، أي أن كلمة Papier (ورق) الإنجليزية مشتقة من كلمة Papyrus (بردي)، وهو يشكل الخامات الأساسية في تكوين المخطوط، كما تمثل ألياف السليلوز المكون الأساسي للورق[4] نسبة إلى عمل الكاغد الذي يكتب عليه وبيعه، كما كان يصنع من القطن ومواد نباتية أخرى، وقد تدخل في صناعته الحرير، وإن اختلاف المواد الأولية الداخلة في صناعة الورق تؤدي إلى ظهور جملة أنواع أخرى منه تختلف في ثخانتها ومتانتها وصقلها ولونها ولينها، يقول القلقشندي في صفة الورق الجيد: « وأحسن الورق ما كان ناصع البياض غرفًا صقيلاً متناسب الأطراف صبورًا على الزمان »[5].

وقد عرفت عدة أنواع من الورق تبعًا لصناعته والمواد الداخلة فيه، فذكر ابن النديم[6] السليماني والطلحي والنوحي والفرعوني والجعفري والطاهري[7].

وقد رأى العرب في الكاغد مادة خفيفة لينة سهلة الحمل والنقل لا تتطلب حيزًا كبيرًا، فأكثروا منه إكثارًا عظيمًا جعل من الكتب أضعافًا مضاعفة ففضلوه على الرق والبردي[8].

---

[1] عبد الستار الحلوجي، **المخطوط العربي**، ص42، 43.

[2] يراجع: كوركيس عواد، **الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية**، مجلة المجمع العلمي العربي 23 نيسان 1948، ص417. محمد طه الجابري، المرجع السابق، ص63 ــ 88.

[3] آدي شير، **كتاب الألفاظ الفارسية المعربة**، دار العرب للبستاني، القاهرة، 1907، ص136.

[4] عبد الستار الحلوجي، **المخطوط العربي**، ط2، مكتبة مصباح، المملكة العربية السعودية، 1989، ص30.

[5] القلقشندي أبو العباس أحمد بن علي (ت 821هـ / 1418م): **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، ج2، دار الكتب الخديوية، المطبعة الأميرية، القاهرة، 1915، ص476.

[6] ابن النديم، **الفهرست**، ص21.

[7] هذه الأصناف منسوبة إلى الولاة والأمراء الذين صنعت في عهدهم أو أمروا بصناعتها. للمزيد في معرفة نسبتها يراجع: يحي وهيب الجبوري، **الخط والكتابة في الحضارة العربية**، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ــ لبنان، 1994، ص276، 277.

[8] كوركيس عواد، **الورق أو الكاغد صناعته في العصور الإسلامية**، مجلة المجمع العلمي العربي، 1948، ص417.

وترجع صلة العرب بالورق الصيني وصناعته في البلاد الإسلامية إلى فتح سمرقند سنة 87هـ، ويصف الثعالبي ورق سمرقند بقوله: « كواغد سمرقند هي من خصائصها التي عطلن قراطيس مصر، والجلود التي كان الأوائل يكتبون بها، لأنها أنعم وأحسن وأرفق، ولا تكون إلا بسمرقند والصين »[1]، ويعزز هذه الرواية أيضًا قول القزويني: « وبسمرقند من الأشياء الظريفة تنقل إلى سائر البلاد منها الكاغد السمرقندي الذي لا يوجد مثله إلا بالصين »[2].

وقد أطرت كتب التراث كثيرًا الكاغد السمرقندي وضرب بجودته الأمثال، يقول النويري ذاكرًا سمرقند: « ومن خصائصها الكواغيد التي عطلت قراطيس مصر والجلود التي كان الأوائل يكتبون عليها لأنها أنعم وأحسن وأرفق وأرق ولا تكون إلا بها والصين »[3]، وكذلك فعل ابن الوردي[4] والخوارزمي[5] وياقوت الحموي[6].

والمشهور بهذه النسبة أبو توبة سعيد بن عاشم الكاغذي (ت 259هـ / 872م)، وأبو الفضل منصور بن نصر بن عبد الله الرحيم الكاغذي (ت 423هـ / 1031م)، وأبو عمرو محمد بن خشنام بن أحمد الكاغذي (ت 370هـ / 980م)، وأبو علي الحسن بن تاصر الكاغذي إليه ينسب الكاغذ الحسني الذي لا يلحق من سبقه من جودة الصنعة ونقاء الآلة وبياضها[7].

---

[1] الثعالبي أبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل النيسابوري (ت 429هـ / 1037م)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تحققي: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1985، ص431، 432.

[2] القزويني زكريا بن محمد بن محمود (ت 682هـ / 1283م)، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د.ت، ص336.

[3] النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت 733هـ / 1332م)، **نهاية الأرب في فنون الأدب**، دار الكتب المصرية، القاهرة، 1932، ص354.

[4] ابن الوردي سراج الدين (ت 861هـ / 1457م)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تحقيق: أنور محمود زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2008، ص376.

[5] الخوارزمي، **رسائل الخوارزمي**، المطبعة العثمانية، 1312هـ، ص34.

[6] الحموي شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله (ت 626هـ / 1228م)، **معجم الأدباء**، تحقيق: مرجليوث، ج2، القاهرة، 1938، ص412.

[7] السمعاني أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور (ت 562هـ / 1166م)، **الأنساب**، ج5، ط1، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، 1977، ص23 ــ 25.